الجامعة المستنصرية – كلية الآداب

قسم اللغة العربية / المرحلة الثانية

د. عباس رحيم عزيز

مادة الأدب الجاهلي

المحاضرة الأولى

الحياة الجاهلية:

كانت القبيلة عماد المجتمع في العصر الجاهلي ويتألف من ثلاث طبقات: أبناؤها وهم الذين يربط بينهم الدم والنسب وهم عمادها وقوامها والعميد هو رقيقها المجلوب من البلاد الأجنبية المجاورة وخاصة الحبشة، والموالي وهم عتقاؤها، ويدخل فيهم الخلعاء الذين خلعتهم قبائلهم ونفتهم عنها لكثرة جرائمهم وجناياتهم وكانوا يعلنون هذا الخلع على رؤوس الأشهاد في أسواقهم ومجامعهم، وقد يستجير الخليع بقبيلة أخرى فتجيره، ويصبح له حق التوطن في القبيلة الجديدة.

أفراد القبيلة متضامنين أشدّ ما يكون، وهو تضامن أحكم عراه حرصهم على الشرف والتي تجمع حولها مجموعه من الخلال الكريمة، وخير كلمة تجمعها هي كلمة المروءة التي تضم مناقبهم مثل الحلم والكرم، والوفاء، وحماية الجار، ولم تكن خصله عندهم تفوق الكرم , وقد بعثها فيهم حياة الصحراء القاسية وما فيها من إجداب وأمحال، فكان الغني منهم يذبح ابله في سنين القحط، يطعمها عشيرته، وكانوا يوقدون النار على الكثبان والجبال ليلاً، ليهتدي اليهم التائهون والضالون في الفيافي، واشتهر عند بالكرم: لفياض كثيرون، مثل حاتم الطائي الذي ضربت الأمثال بكرمه، وهو يصوره في كثير من شعره كقوله:

**إذا ما بخيل الناس هرت كلابه، وشق، على الضيف الضعيف، عقورها**

**فإنّي جَبانُ الكلبِ، بَيْتي مُوَطّأٌ أجـــود، إذا ما النفس شح ضميرها**

كانوا لا يقدرون شيئا كما يقدرون الوفاء، فاذا وعد أحدهم وعداً أوفى به وأوفت معه قبيلته مما وعد، وأشادوا بحماية الجار لأنه استجارهم وأعطوه عهدا أن ينصروه، وجعلهم ذلك يعظمون الأحلاف ولا ينقضوا مما قاسوا بسببها من حروب، وبلغ من اعتدادهم بهذه الخصلة أن كانوا يرفعون لمن يقدر منهم لواء في مجامعهم وأسواقهم، حتى يلحقوا به العار إلى الأبد يقول الحادرة لصاحبته سمية:

**أسُميَّ ويحكِ هل سمعت بغدرةٍ رُفع اللواءُ لنا بها في مَجمعِ**

وهم يمتدحون بالعزة والكرامة واستغاثة الملهوف وحماية الضعيف والعفو عند المقدرة، كما عرفوا بالأنفة وإباء الضيم وكيف يقبلون الضيم وهم أهل حرب وجلاد، يقول المتلمس:

### إِنَّ الهَوانَ حِمارُ القَومِ يَعرِفُهُ والحُرُّ يُنكِرُهُ والرَّسلَةُ الأُجُدُ

العرب في الجاهلية لم تكن تعيش معيشة واحدة، فقد عرفت الزراعة في الجنوب وواحات الحجاز مثل خبير والطائف ووادي القرى، وعاش أهل مكة على التجار، اذا كانوا يحملون عروضها وسلعها بين حوضي المحيط الهندي والبحر الأبيض، وكانت قوافلهم تجوب الصحراء شمالا وجنوبا في طرق معلومة، وكان يصحبهم في هذه القوافل أدلاء يحمونهم من الضياع في مجاهل الصحراء.

وكانت مكة في الجاهلية مدينة تجارية عظيمة لوجود الكعبة فيها، اذا كانوا يحجون إلى أصنامهم وأوثانهم فيها، وتقيم فيها قريش الأعياد في الأسواق كسوق عكاظ، وكانت أكبر أسواقهم ولم تكن سوق تجارة فحسب، بل كانت سوقا للخطابة والشعر أيضاً، إذ كانت تقام للنابغة فيها قبة ويعرض الشعراء شعرهم، فمن أشاد به اشتهر وذاع صيته، وتقام فيها المنافرات والمفاخرات وعرف أناس يحتكمون اليهم، ومعنى ذلك أي: عكاظاً كانت أشبه بمؤتمر كبير للعرب فيه يجتمعون وينظرون في خصوماتهم ومنازعاتهم.

وكان البدو يعيشون معتمدين على رعي الأغنام والأنعام في الصحراء تحميهم وتحرس تقاليدهم ولغتهم على الرغم من المخاوف والمخاطر المحيطة بها فتلك القفار الجرداء برياحها السموم ووحوشها الضاربة وليلها المظلم المخيف الذي لقى في روعهم الكثير من الخيالات والأوهام من الجن والغيلان جعلت حياتهم قاسية معتمدة على الغزو كوسيلة من وسائل العيش.

أما ديانتهم فقد كانت كثرة العرب في الجاهلية وثنية تؤمن بقوى الهيه كثيرة تستوطن في الكواكب ومظاهر الطبيعة، إذ آمنوا بقوى خفية كثيرة في بعض النباتات والجمادات والطير والحيوان، ويتخذون من الأصنام والأوثان رموزا لألهتهم.

وعبادة النجوم والكواكب دخلت عندهم من قديم، إذ يرجعون لألهتهم إلى الثالوث المقدس وهو (القمر أو أووَد، والشمس أو اللات، والزهرة أو العُزَّى)

وكانوا يقدسون النار، ويظهر في ذلك إيفادهم لها عند أحلافهم واستمطارهم السماء وتقديم القرابين لها.

وهناك طائفة تدعى الحنفاء والتي نجد عندها استعدادا لفكرة الاله الواحد، وكانت تشك في الدين الوثني وتلتمس دينا جديدا يهديها إلى الحياة، وكلمة حنيف معناها المائل عن دين آبائه كما يدل على ذلك اشتقاقها، ولم يكن هؤلاء في مكة وحدها فقد كانوا منتشرين بين القبائل منهم قس بن ساعدة الأيادي، وأبا ذر الغفاري، وعامر بن الضرب العدواني وكانوا بعضهم يؤمن بما جاء به إبراهيم الخليل مثل زيد بن عمرو بن نفيل الذي اعتزل الأوثان والميتة والدم والذبائح التي تذبح على الأوثان.

أما اليهود فقد كانوا منتشرين في اليمن والحجاز، والنصرانية كانت منتشرة بين عرب الشام من الغساسنة وغيرهم مثل عاملة وجذام وكلب وقضاعة لذلك نجد الشعراء يرددون ذكر الرهبان ومحاريب كنائسهم، يقول امرؤ القيس:

|  |  |
| --- | --- |
| **أَمــان الــسَّــلِــيْــطَ بالـذُّبَـالِ المُفَتَّلِ** | **يُــضِــيءُ سَــنَــاهُ أَوْ مَــصَــابِيْحُ رَاهِبٍ** |

لهجاتهم: -

على الرغم من شيوع لغة أدبية عامة في العصر الجاهلي كانت هناك لهجات كثيرة تميزت بها بعض القبائل، وظلت آثارها واضحة على ألسنتهم إلى القرن الثاني للهجرة، فسجلها اللغويون

يدل ما بين أيدينا من شعر جاهلي دلالة قاطعة على أن القبائل العربية اصطلحت قيما بينها على لهجة أدبية فصحى، كان الشعراء على اختلاف قبائلهم وتباعدها وتقاربها ينظمون فيها شعرهم والشاعر حين ينظم شعره يرتفع عن لهجة قبيلته المحلية إلى هذه اللهجة الأدبية العامة، ومن ثم اختفت جملة الخصائص التي تميزت بها كل قبيلة في لهجتها فلم تتضح في شعر شعرائهم إلا قليلاً جداً.

وان هناك أسباب دينية واقتصادية أعدت لهجة مكة لتسود اللهجات القبلية في الجاهلية، وقد تداخلت فيها أسباب سياسية، فعن القبائل العربية كانت ترى تحت أعينها هجوم الدول المجاورة من الفرس والروم والحبش على أطرافها، كما كانت ترى هجوم الديانتين المسيحية واليهودية على دينها الوثني، فتجمعت قلوبها حول مكة، وهوت أفئدتها اليها، وبذلك تهيأ للهجة القرشية أن يعلو سلطانها في الجاهلية على اللهجات القبلية المختلفة، وان تصبح هي اللغة الأدبية التي يصوغون فيها أدعيتهم الدينية وأفكارهم وأحاسيسهم.

وقد تدل على ذلك بعض الدلالة سوقها عكاظ، فقد كانت سوقا تجارية، وكان الخطباء يرتجلون فيها خطبهم وينشد الشعراء قصائدهم ومما يدعم هذا الدليل ما قاله الرواة من أن العرب (كانت تعرض أشعارها على قريش، فيما قبلوه منها كان مقبولا، وما ردوه منها كان مردودا) لتسود لهجة قريش الفصحى في الجاهلية كل القبائل العربية يتخذونها الشعراء لغة لشعرهم.